مكتبة المنيرة
قسم الدوريات

حولية

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

العدد الثامن
١٤٠٥ هجرية - ١٩٨٥ ميلادية

الصحافة العربية الفلسطينية

ومواقفها من القضية الوطنية (١٩٠٨-١٩٣٦)

الدكتور عادل حسن غنيم
أستاذ مساعد بقسم التاريخ

قبل التحدث عن الصحافة العربية في فلسطين لابد من ايضاح نقطتين :

الأولى : أن هذا البحث يركز على الصحف العربية السياسية أو ذات الاهتمام السياسي ، وبناء على ذلك فلا يدخل في مجال معالجتنا الصحف الأدبية أو الاجتماعية أو الاقتصادية البحتة .

الثانية : انني كنت حريصاً على الرجوع الى الصحف نفسها عند تحديد مواقفها خاصة بالنسبة للصحف غير الوطنية ، ونظراً لعدم توفر أعداد كافية من بعض الصحف فقد اعتمدت أيضاً على مصادر أخرى موثوق بصحتها سواء كتبا أو صحفا وطنية . ومن المعروف أن اعداد الصحف الفلسطينية ليست مكتملة خاصة في تلك الفترة المبكرة بسبب ما تعرضت له البلاد من أزمات وتطورات سياسية تركت آثارها بطبيعة الحال على ذلك المصدر التاريخي الهام .

وأما بالنسبة لنشأة الصحافة العربية في فلسطين فقد حدث ذلك في وقت

متأخر نسبياً بالنسبة لنشأة المدارس(*) والطباعة في البلاد ، لكن الصحافة ازدهرت في فترة قصيرة نتيجة لعاملين : أولهما أنه كان هناك مجلات للجمعيات الاجنبية التابعة للارساليات والجاليات الأجنبية تصدر في فلسطين منذ عام ١٨٧٢ ، وثانيهما أن الصحافة في بعض البلدان العربية المجاورة كانت قد نضجت قبل نشأة الصحافة العربية في فلسطين .

وكانت أول صحيفة حكومية صدرت في فلسطين هي صحيفة « القدس الشريف » التي تأسست بالقدس عام ١٨٧٦ باللغتين العربية والتركية . وكان يحرر القسم العربي منها الشيخ على الريماوي ويحرر القسم التركي عبد السلام كمال .[١]

أما بالنسبة لنشأة الصحافة العربية الأهلية فلاشك أن اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ واطلاق حرية اصدار الصحف في بعض البلدان العربية قد نبه ادباء فلسطين ومثقفيها إلى حاجتهم الى صحافة محلية يعبرون فيها عن آرائهم ومواقفهم .

وتعتبر صحيفة « النفير العثماني » أول صحيفة عربية في فلسطين ، فلقد انشأ إبراهيم زكا تلك الصحيفة في الاسكندرية عام ١٩٠٤ ثم نقل اصدارها الى القدس عام ١٩٠٨ بعد اعلان الدستور العثماني حيث تحول امتيازها الى شقيقه ايليازكا الذي اطلق عليها « النفير » ، وفي ابريل ١٩١٣ نقلت ادارتها ومطبعتها الى حيفا[٢] .

فعام ١٩٠٨ اذن هو الذي يمثل بداية صدور الصحف العربية في فلسطين التي انتشرت منذ ذلك التاريخ وصدرت في مدن مختلفة خاصة في القدس وحيفا وعكا وبيت لحم[٣] .

وكان أهم الصحف السياسية التي نشأت منذ صدور الدستور العثماني حتى قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ هي :

١ ـ الانصاف ، وقد تأسست في القدس في ٢٣ ديسمبر ١٩٠٨ وكان بندلي الياس مشحور هو محررها .
٢ ـ النجاح ، وتأسست في القدس في ٢٤ ديسمبر ١٩٠٨ وكان الشيخ علي الريماوي هو محررها .
٣ ـ الكرمل ، وتأسست في حيفا عام ١٩٠٨ وكان نجيب نصار هو محررها .
٤ ـ الاخبار ، وصدرت في يافا في ٢٩ يونيو عام ١٩٠٩ وكان الفونس يعقوب محررها .

٥ ـ الاعتدال : وصدرت في القدس في أول مايو ١٩١٠ ، وكان بكري السمهوري هو محررها .
٦ ـ فلسطين ، وصدرت في يافا في ١٤ يناير عام ١٩١١ وكان عيسى العيسي هو محررها .
٧ ـ المنادي : وصدرت في القدس في ٨ فبراير ١٩١٢ وكان سعيد حار الله هو محررها[٤] .

وخلال الحرب العالمية الأولى توقفت معظم الصحف الفلسطينية عن الصدور ، ولم يبق مستمرا منها سوى عدد قليل[٥] .

ومع بداية الاحتلال البريطاني لفلسطين (أوائل عام ١٩١٧) لم يكن في البلاد صحيفة واحدة تعبر عن آراء العرب وآمالهم ، وقد ظل الحال على هذا الوضع حتى صدرت بالقدس في ٨ سبتمبر ١٩١٩ جريدة « سوريا الجنوبية » لصاحبها عارف العارف . ثم صدر بالقدس في ١٧ سبتمبر ١٩١٩ « مرآة الشرق » لبولس شحادة و « بيت المقدس » في ٢٦ ديسمبر ١٩١٩ لبندلي الياس مشحور[٦] .

ويتحدث تقرير للجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني الثالث الذي عقد في ١٤ ديسمبر ١٩٢٠ عن أوضاع الصحافة فيقول أن « الصحافة الوطنية مقيدة ومعرضة للغرامة ، وفي بعض الاحيان يسجن اصحابها لأقل فكرة تبديها بينما

جرائد اليهود تتابع حملاتها على الوطنيين فلا تلحقها أدنى تبعة »[٧] .

وكان أهم الصحف السياسية التي صدرت خلال العشرينيات مايلي :

١ ـ «القدس الشريف » التي أصدرها في القدس في ١٣ ابريل ١٩٢٠ حسن صدقي الدجاني .

٢ ـ « لسان العرب » التي أصدرها في القدس في ٢٤ يونيو ١٩٢١ ابراهيم سليم النجار .

٣ ـ « صوت الشعب » التي أصدرها في بيت لحم في ١١ مايو ١٩٢٢ عيسى البندك .

٤ ـ « الجزيرة » التي اصدرها في يافا في ٣١ يناير ١٩٢٤ حسن فهمي الدجاني ومحمد كامل الدجاني .

٥ ـ « الصراط المستقيم » التي أصدرها في يافا في ١٢ سبتمبر ١٩٢٤ الشيخ عبد الله القلقيلي ، وكانت أسبوعية ، وظلت تصدر حتى عام ١٩٤٨ .

٦ ـ « الجامعة العربية » التي أصدرها في القدس في ٢٠ يناير عام ١٩٢٧ محمد منيف الحسيني[٨] .

ونتيجة لتكون عدد من الأحزاب المعادية للنشاط الوطني في البلاد في أواخر عام ١٩٢٣ وخلال عام ١٩٢٤ فقد شغل أهل البلاد بخلافاتهم المحلية وصراعاتهم الحزبية . ومن هنا فقد كان لانعقاد المؤتمر الصحافي العربي الأول في ٨ يونية ١٩٢٤ أثره في تنشيط الحركة الوطنية في البلاد[٩] .

وكان صاحب فكرة هذا المؤتمر هو السيد على ناصر الدين صاحب جريدة « المنبر » المحتجبة ونزيل فلسطين في ذلك الوقت وطريد السلطة الفرنسية في بيروت ، فقد تردد بين حيفا ويافا والقدس سعيا وراء تحقيق تلك الفكرة ، فقابل الصحفيين في انحاء فلسطين وحدثهم في هذا الأمر فوجد منهم قبولا وارتياحا لهذه الفكرة[١٠] .

وكانت الغاية من هذا المؤتمر توحيد صفوف رجال الصحافة العرب ضد

أعدائهم أولا ، ثم السعي لتوحيد كلمة الزعماء الفلسطينيين ، وتهيئة الجو الصالح لعقد المؤتمر الفلسطيني السابع[١١] .

وقد عقد المؤتمر اربع جلسات ثم قرر ما يأتي :

أولاً : الصحافة العربية الفلسطينية متضامنة متكاملة في خدمة المصلحة العامة ، ولا يجوز ان تتعدي الانتقاد الى المطاعن الشخصية والتشفي .

ثانياً : العناية بالمسائل الاقتصادية والزراعية والاكثار من الكتابة فيها لتنشيط الزراع على تكثير الانتاج والتجار على توسيع تجارتهم وفتح اسواق جديدة ولاسيما في العالم الإسلامي .

ثالثاً : مقاومة الحزب الزراعي الذي تشكل حديثا في الخليل لخروجه على ما قررته الأمة من رفض الانتداب ووعد بالفور .

رابعاً : مقاومة النعرات الطائفية التي تؤدي إلى الانقسام والتفرقة بين الوطنيين من مسلمين ومسيحيين .

خامساً : تأليف نقابة صحفية باسم « نقابة الصحافة العربية في فلسطين[١٢] .

وفي محاولة من المؤتمر لتوحيد كلمة رجالات فلسطين ، فقد طلب من الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي ـ الذي كان يزور فلسطين في ذلك الوقت ـ التوسط لازالة سوء التفاهم بين زعماء البلاد[١٣] . وقد بذل الثعالبي محاولة في هذا الشأن الكن رجال المعارضة قاوموها ووضعوا العقبات في طريقها .

وكان من المواقف الوطنية التي اتخذها رجال الصحافة العربية في فلسطين في عام ١٩٢٥ امتناعهم عن مقابلة اللورد بالفور الذي حدد موعدا لمقابلة

الصحفيين في البلاد ، فقابله الصحفيون اليهود وحدهم وامتنع أصحاب الصحف العربية عن مقابلته[١٤] .

ونتجة للخلافات السياسية التي كانت قد بلغت أشدها بين الزعماء الفلسطينيين في عام ١٩٢٧ ، فقد انعكست آثار تلك الخلافات على مختلف الصحف العربية في فلسطين ، فساهمت تلك الصحف في زيادة حدة الخصومة ، لكن أصحاب تلك الصحف ما لبثوا ان تنبهوا الى خطورة ذلك الخلاف على القضية الوطنية ، فعقدوا مؤتمرا في يافا ايام ١٢ ، ١٣ ، ١٤ نوفمبر حضره ممثلون عن الصحف الفسلطينية[**] واتخذوا القرارات التالية :

أولاً : أن يدعو رجال الصحافة الى جمع كلمة الأمة وتسهيل عقد مؤتمر عام يمثل آراء الأمة في قضيتها السياسية العامة والدفاع عن مصالحها أمام الحكومة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .

ثانياً : تبادل الاحترام بين الصحفيين على اختلاف آرائهم ومراعاة حقوق الزمالة وآداب الصحافة ومقاومة كل حركة من شأنها احياء النعرات الطائفية والنزعات الدينية .

ورأى المؤتمرون وجوب مطالبة الحكومة بحقوق الصحافة ، كما بحثوا في تأليف نقابة صحفية لهم ـ ولم تكن النقابة التي تقرر تشكيلها في مؤتمر الصحافة العربية الفلسطينية الأولى في يونية ١٩٢٤ قد تألفت بعد ـ واستقر رأيهم على تأليف هذه النقابة من أصحاب الصحف الذين حضروا المؤتمر ، وتم انتخاب عيسى البندك صاحب جريدة « صوت الشعب » وعبد الله القلقيلي صاحب جريدة « الصراط المستقيم » ممثلين للنقابة ، وعهد اليهما بتقديم قانون النقابة للحكومة وابلاغها قرارات المؤتمر[١٥] .

وتحدث انتفاضة البراق في فلسطين في أغسطس ١٩٢٩*** ، وتسهم الصحافة العربية في فلسطين بدور هام سواء بالنسبة لمقدمات تلك الانتفاضة أو لتطور أحداثها . فقد نشرت الصحف العربية في أعقاب الحوادث التي

وقعت يوم عيد الغفران عند اليهود عام ١٩٢٨ صوراً لمستندات تثبت أحقية المسلمين في ملكية الحائط ، كما نشرت قرارات المؤتمر الصهيوني السادس في زوريخ (من ٢٨ يوليو الى ١١ أغسطس ١٩٢٩) واعتبرتها دلالة صريحة على أن المؤتمر يحاول التأثير على حكومة بريطانيا كي تلغى قرارا اتخذته لصالح المسلمين ويحول دون تنفيذ مبادىء الكتاب الأبيض لعام ١٩٢٨ ـ الذي أيد الحق العربي ـ وكتبت الصحف العربية والعبرية عددا من المقالات اعتبرتها لجنة شو ـ التي تولت التحقيق في الموضوع ـ من الأسباب المباشرة لتلك الانتفاضة[١٦] .

ولقد أوقفت حكومة الانتداب خلال الانتفاضة جميع الصحف في فلسطين سواء كانت عربية أم يهودية ، لكن الصحف اليهودية كانت تصدر خلال فترة الايقاف في شكل كراسات ونشرات[١٧] . كما ان الحكومة كانت تصدر نشرات رسمية تهدف الى اطلاع الجمهور على تطور الأحداث وازالة مخاوفه[١٨] .

وفي محاولة للاهتمام بالدعاية العربية للقضية الفلسطينية في أعقاب تلك الانتفاضة فلقد أصدرت جريدة فلسطين بيافا يوم ١٦ سبتمبر ١٩٢٩ نسخة أسبوعية منها باللغة الانجليزية ، وارسلت نسخا منها مجانية الى أعضاء البرلمان البريطاني والحكومة البريطانية ، وإلى غيرهم من كبار الشخصيات في العواصم الغربية الأخرى[١٩] .

ومع بداية التحول في استراتيجية الحركة الوطنية الفلسطينية في أوائل الثلاثينيات واعتبار الاستعمار البريطاني هو أصل الداء وأن الصهيونية ليست سوى خطر ثانوي تجاوبت الصحف الفلسطينية مع هذه الروح الجديدة[٢٠] .

وشهدت سنوات النصف الأول من الثلاثينيات وحتى قيام ثورة ١٩٣٦ نشأة عدد من الصحف أهمها ما يلي :

١ ـ « الحياة » التي أصدرها في القدس عام ١٩٣٠ عادل جبر وخالد الدزدار

٢ ـ « العرب » التي أصدرها في القدس في ٢٧ أغسطس ١٩٣٢ عجاج نويهض .
٣ ـ « الجامعة الاسلامية » التي اصدرها في يافا عام ١٩٣٣ سليمان التاجي الفاروقي .
٤ ـ « الدفاع » التي اصدرها في يافا عام ١٩٣٤ ابراهيم الشنطي .
٥ ـ « اللواء » التي حصل جمال الحسيني على رخصتها في أوائل ديسمبر ١٩٣٥[٢١] .

ومع أزدياد هجمات الصحافة الوطنية في فلسطين على الانتداب البريطاني ومظاهرة الرئيسية وجهت الحكومة المنتدبة انذارات متعددة الى تلك الصحف في عام ١٩٣٣ بموجب قانون الصحافة لذلك العام[٢٢] لكن اثر تلك الانذارات كان قليلا أو منعدماً[٢٣] .

ونتيجة لازدياد حركة بيع الاراضي وتفشى عمليات السمسرة خلال سنوات النصف الأول من الثلاثينيات شنت الصحف الوطنية حملات قوية ضد السماسرة وباعة الأرض واتهمتهم بالخيانة ، وكان من نتائج هذه الحملة ان أصدر مؤتمر العلماء الأول في القدس فتوى بتجريم بائعي الأرض وعدم دفن من يموت منهم في المقابر ، كما كان من نتائجها اقبال بعض أصحاب الأراضي على تسجيل أراضيهم كوقف عائلي لانقاذها من الوقوع في يد اليهود[٢٤] .

وتتضمن التقارير البريطانية الدورية التي كانت ترسل من فلسطين اشارات عديدة الى خطورة الصحافة الوطنية في فلسطين في مرحلة ماقبل ثورة ١٩٣٩/٣٦ حيث تذكر هذه التقارير أن مقالات تلك الصحف أصبحت مثيرة للغاية وانها تندد بالسياسة البريطانية في فلسطين[٢٥] .

والحق أن الصحافة العربية في فلسطين قامت بدور هام في تلك الحقبة

المبكرة من تاريخ فلسطين المعاصر ، ونبهت العرب في فلسطين الى خطورة ما يتعرضون له من مؤامرات ، لكن هذا لايعني أن الصحف العربية في فلسطين قد أخذت جميعها هذا الموقف ، فهناك صحف اخرى كانت معادية للحركة الوطنية أو ممالئة للانتداب والصهيونية . ويمكن من خلال دراستنا لتلك الفترة أن نقسم الصحف العربية في فلسطين الى ثلاثة أقسام : صحف وطنية ، وصحف غير وطنية ، وصحف متقلبة ، وسأتحدث عن كل قسم من تلك الاقسام بشيء من التفصيل .

أولاً : الصحف الوطنية :

وأقصد بالصحف الوطنية تلك الصحف التي ناهضت الاستعمار والصهيونية ووقفت الى جانب الحركة الوطنية في فلسطين وساندتها لكنها لم تتردد في نقدها ومعارضة قيادتها اذا كان هناك ما يستوجب ذلك . وتشمل هذه المجموعة معظم الصحف الفلسطينية رغم اختلاف في اتجاهاتها . ومن تلك الصحف « سوريا الجنوبية » وكانت قوية الحجة شديدة اللهجة مبدؤها الوحدة السورية والاستقلال التام ورفض الهجرة الصهيونية[٢٦] .

ومنها « الجزيرة » وكانت تعليقاتها تتسم بالموضوعية ووضوح الفكرة « نحن لانكره اليهود لكونهم يهودا ولكن نكرههم لأنهم يحاولون اغتصاب بلادنا منا وجعلها وطنا قومياً لهم . . . وأظن أن من الحق أن نكره الحكومة اذا كانت تعمل لاحلال أقلية تجمع من اطراف الأرض محل أصحاب البلاد الحقيقيين وأصحاب الاكثرية المطلقة الساحقة » . وكانت الصحيفة مدركة لأهمية دور الشباب في دفع مسيرة النضال الوطني ، فقد نشرت الصحيفة العديد من المقالات طالبت فيها شباب فلسطين بتنظيم أنفسهم ووضع حد لدور الكلام والمشاريع النظرية . كما كانت الصحيفة تنشر مقالات يدعو أصحابها الى تأليف النقابات ومحاولة ربطها بالعمل السياسي[٢٧] .

ومن تلك الصحف « الاتحاد العربي » التي كانت تنادي منذ منتصف العشرينيات بتأليف شركة وطنية لشراء الأراضي التي يراد بيعها لليهود[٢٨] .

ومنها صحيفة « اليرموك » التي كانت تدعو العمال العرب في نقابة عمال السكك الحديدية والبريد والبرق ـ التي كانت تجمع العرب واليهود معا ـ الى اليقظة حتى لا يكونوا آلة لتحقيق الغايات السياسية الصهيونية أو الشيوعية"[٢٩] .

ومن تلك الصحف « صوت الشعب » وان كان يؤخذ عليها انها ظلت تدعو دائمًا الى اتباع وسائل الدفاع المشروعة حتى بعد ان اقتنعت الجماهير بضرورة أتباع وسائل الايجابية وثورية[٣٠] .

ومن الصحف الوطنية « الجامعة الاسلامية » التي كانت تهتم بابراز نشاط الهيئات الوطنية مثل اللجنة التنفيذية العربية ومؤتمر الشباب وغيرها[٣١] .

ومنها « الدفاع » التي كان مبدؤها محاربة الاستعمار وأعوانه ونصرة الحركات الاستقلالية ومساعدة الفلاح والعامل وخلق رأي عام واع ونفخ روح الرجولة في الشباب[٣٢] . ويتضمن احد التقارير البريطانية في أواخر عام ١٩٣٥ اشارات الى ان لهجة صحيفتي « الجامعة الاسلامية » و « الدفاع » تساعدان بدرجة كبيرة على اثارة الرأي العام في فلسطين[٣٣] .

ومن الصحف الوطنية جريدة « اللواء » التي كان مبدؤها تأدية رسالة الوحدة العربية ، وهي أول جريدة عربية في فلسطين تصدرها شركة مساهمة هي « شركة الصحافة والطباعة العربية »[٣٤] .

وهناك صحيفة فلسطينية هامة وهي « الشورى » التي كان يصدرها محمد على الطاهر في القاهرة منذ عام ١٩٢٤ وهو أحد ابناء فلسطين المجاهدين الذين استقر بهم المقام في مصر قبل ذلك بسنوات عدة[٣٥] .

وكان لمحمد على الطاهر قبل اصدار « الشورى » جولات وصولات في صحف مصر والشام ، فكانت مقالاته تنشر باسم مستعار في صحف الأهرام والسياسة والكشكول واللواء والمقطم في مصر وألف باء وفلسطين بالشام ولسان الشعب بتونس ، فهذا الرجل كان كما وصفه احمد زكي باشا في مقال له « مجموعة صحف متعددة المناحي مختلفة المسالك لكنها تتجه جميعها الى هدف واحد »[٣٦] .

وكانت « الشورى » منذ صدور أول اعدادها سيفا مسلطا على رأس الاستعمار والصهيونية ، كما كان صاحبها من أنشط وأخلص الفلسطينيين الذين خدموا القضية خارج البلاد ، وظل طوال حياته يدعو الى الوحدة الوطنية ومقاومة الاستعمار والصهيونية . ولم يكن نشاط هذا الرجل وقلمه يقتصر على فلسطين وحدها بل كان يدافع عن الفكرة العربية وقضاياها أينما وجدت وحيثما اتجهت دون كلل أو ملل أو مهادنة أو استسلام .

وكان من مواقف الصحيفة الوطنية أنها شنت حملات شديدة على الشخصيات العربية من باعة الأرض وعلى سماسرة الأراضي الذين أعلنوا عن أنفسهم وافتتحوا مكاتب للسمسرة في مدن عديدة من فلسطين ، وقد دعت الصحيفة الى مقاطعتهم واعتبارهم أشد عداوة من الصهاينة[٣٧] .

ومع أن صحيفة « الشورى » لم تكن ذات علاقة رسمية باللجنة التنفذية العربية التي كانت تقود الحركة الوطنية في فلسطين أو بالمجلس الاسلامي الأعلى الذي كان يشرف على الشئون الدينية في البلاد . الا ان اللجنة التنفيذية العربية كانت تعتبرها ممثلة الحركة الوطنية في فلسطين . فعندما منعت حكومة الانتداب في فلسطين تلك الصحيفة من دخول فلسطين أوائل عام ١٩٢٥م ارسلت اللجنة التنفيذية العربية للمؤتمر السادس الفلسطيني احتجاجا الى حكومة فلسطين مؤكدة ان جريدة « الشورى » هي « جريدة تنطق بلسان الاكثرية الساحقة من سكان البلاد رغم صدورها في مصر »[٣٨] .

والحق ان صحيفة « الشورى » وصاحبها محمد على الطاهر يستحقان دراسة علمية خاصة ليس فقط بسبب مناصرة تلك الصحيفة لكل القضايا العربية والاسلامية ، وإنما بالدرجة الأولى لمقاومتها المستمرة والمستميتة لكل أنواع الاستعمار الأجنبي ومظاهرة المختلفة .

ثانياً : الصحف غير الوطنية :

وأعنى بالصحف غير الوطنية الصحف التي قاومت الحركة الوطنية في فلسطين وتعاونت مع الانتداب أو الصهيونية بطريقة سافرة أو مستترة ، وأهم هذه الصحف لسان العرب ومرأة الشرق والكرمل وبيت المقدس .

فأما صحيفة « لسان العرب » اليومية فقد صدرت بالقدس في ٢٤ يونية ١٩٢١ ، وكان صاحبها ابراهيم سليم النجار ـ وهو لبناني ذهب الى فلسطين في أعقاب الاحتلال الانجليزي للبلاد ـ يحاول ان يجعل من صحيفته مثلما كانت عليه صحيفة المقطم في مصر من السياسة البريطانية[٣٩] . وقد نجح فعلا في هذه المحاولة فقد كان العرب ينظرون الى صحيفته باعتبارها الصحيفة شبه الرسمية لحكومة فلسطين[٤٠] .

ومن يتابع تلك الصحيفة يتضح له مواقفها العديدة المناوئه للاتجاه الوطني في فلسطين ـ فهي تدعو الفلسطينيين الى التعاون مع الأمير عبد الله دون اجباره على العمل بارادة الشعب ودون اتهامه بالتعاون مع الاستعمار والصهيونية . وهي تنبه الفلسطينين دائما الى أن الطفرة شيء محال وأن عليهم ان يجاهدوا سنوات طويلة مثلما فعلت الأمة الايطالية في سبيل وحدتها[٤١] . وهي تعلن رضاءها عن فكرة الانتداب ولكن ليس بالصورة التي تطبق في بلاد الشرق « ولم نخف مرة من المرات رأينا باننا من طلاب المساعدة التي يطلقون عليها اسم الانتداب لعلمنا بعجز سوريا ومجموع ابناء الأمة العربية عن القيام

وحدهم بأعباء تأسيس الملك في بلادهم ، ولكننا لانود ان نفهم قط بالمساعدة شكل هذا الانتداب اللعين الممقوت المكروه الأسود السيء الذي نراه اليوم في كل الشرق »[٤٢] . لكن الصحيفة لم تبين بشكل واضح ماهو ذلك الانتداب الذي تحبذه ولا تراه لعينا أو مكروها أو سيئاً .

وعندما يقرر المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس الذي عقد في ٢٢ أغسطس ١٩٢٢ رفض دستور فلسطين الجديد ومقاطعة انتخابات المجلس التشريعي وتأييد رفض نظام الانتداب ومقاطعة اليهود في الشراء وبيع الأموال غير المنقولة تعتبر الصحيفة ان ذلك من التطرف الذي يتعارض ومصالح البلاد[٤٣] . وتدعو الصحيفة عرب فلسطين الى الاعتدال وعدم مقاطعة الحكومة أو اليهود والاهتداء بسياسة عدلي يكن في مصر التي ترى فيها الصحيفة « حركة نافعة تفيد جميع الشرق »[٤٤] .

وقد يكون مقبولا في بلاد أخرى غير فلسطين أن يكون هناك اتجاهان أحدهما متشدد والآخر معتدل باعتبار أن تلك البلاد تحصل بين وقت وآخر على شيء من حقوقها الوطنية ، أما بالنسبة لفلسطين فان أي تنازل عن حق وطني هو تنازل نهائي إلى الحركة الصهيونية التي ذهبت الى فلسطين لتبقى لا لترحل ولذلك فاننا نرى أن عدم التمسك بالمطالب الوطنية في فلسطين خلال عهد الانتداب هو تفريط في حقوق الوطن ، كما نرى أن سياسة الاعتدال أو تأييد فكرة الانتداب هو خروج على الخط الوطني وتفتيت لقوى الأمة . فلم يكن الانجليز مستعدين طوال عهد الانتداب لاعطاء عرب فلسطين أي حق من حقوقهم الأساسية .

وتمضى الصحيفة في مواقفها فتؤكد اتجاهها الانعزالي وتدعو الى عدم الاعتماد على البلدان العربية حيث تعارض ارسال الوفود الفلسطينية سواء الى الغرب أو الى الجزيرة العربية والعراق بدعوى « أن أولئك الغرباء لايستطيعون ان يفيدونا بشيء . . . وإذا كان لهؤلاء من حول أو طول فليبدءوا بأنفسهم أولا ليتحرروا من نير الأجنبي »[٤٥] .

وتردد الصحيفة بين حين وآخر فكرة فحواها أن الأمة العربية غير كفؤ للاستقلال وتنتقد الصحف التي ترى غير ذلك بل وتعتبر ذلك قتالا في سبيل الخيال . « فالذهاب مع الخيال الواسع في كل مذهب واحلاله محل الحقيقة التي يجب أن تتبع وأن يعمل بها جناية لاتغتفر »[٤٦] .

ويصل الأمر بالصحيفة أن تستعدي السلطة المنتدبة ضد المؤسسات الوطنية بسبب مواقفها الايجابية فتنقد المجلس الإسلامي الأعلى لمقاطعته حفل تنصيب هربرت صموئيل أول مندوب سام بريطاني في فلسطين ، وتعتبر في ذلك « مبدأ قانونيا جديداً يصعب على أية حكومة أن تقبل به »[٤٧] .

وكانت الصحيفة تهتم بالمسائل الفرعية والهامشية فتثير الشكوك في قيادة الحركة الوطنية بدعوى حرصها على حقوق الأمة حيث انتقدت اللجنة التنفيذية العربية لعدم ذكرها شيئاً عن الميزانية والأموال التي انفقت خلال اجتماع المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس وتطالبها بأن تنشر على الأمة « ميزانية مطولة تبين فيها كل ما دخل عليها وما أنفق منعا للقيل والقال ودرءا للظنون »[٤٨] .

ومع رسوخ أقدام الانتداب في فلسطين تزداد الصحيفة في تأييدها السافر للانتداب ومقاومتها للحركة الوطنية الفلسطينية . فعندما أضرب العرب في فلسطين في ٢٥ مارس ١٩٢٥ يوم وصول اللورد بالفور فلسطين لافتتاح الجامعة العبرية في القدس تحدت الصحيفة مشاعر الجماهير ودعت الى عدم الاضراب[٤٩] . ولم تكن مواقف الصحيفة معادية للحركة الوطنية في فلسطين وحدها بل معادية للحركات الوطنية في العالم العربي . فعندما قتل السردار الانجليزي في مصر عام ١٩٢٤ شنت الصحيفة حملة شديدة على سعد زغلول وعلى رجال البرلمان المصري[٥٠] . وبشكل عام فلقد كان ابراهيم سليم النجار صاحب تلك الصحيفة يشجع كل حركة معادية للحركة الوطنية في فلسطين ، ويساند الاحزاب الخارجة على الأمة . فلقد ناصر الجمعيات الاسلامية

الوطنية والحزب الوطني والاحزاب الزراعية وجمعية تعاون القرى وهي التشكيلات المعادية للحركة الوطنية ، وكان يهاجم رجالات الأمة وأخيارها ، وإذا قالت الأمة شيئاً نادي بعكسه وإذا دعت الى شيء هتف بنقيضه . وقد بلغ من معاداة هذا الرجل للحركة الوطنية في فلسطين أن قالت صحيفة الشورى في تعليق لها ان مصائب فلسطين ثلاثة هي الاحتلال والصهيونية وابراهيم سليم النجار .

ولقد انصرف العرب في فلسطين عن تلك الصحيفة شيئاً فشيئاً ، وعندما أحس النجار باحتضار صحيفته حاول التراجع عن خطته لكن الجماهير لم تنخدع في تلك المحاولة ، وظل أهل فلسطين يقاطعون الصحيفة حتى باع الرجل مطبعتها بالمزاد العلني واغلق الصحيفة وغادر فلسطين كلها[٥١] .

وأما الصحيفة الثانية غير الوطنية فهي « مرآة الشرق » التي أصدرها بالقدس في ١٧ سبتمبر ١٩١٩ بولس شحادة .

ولايجد الباحث صعوبة في تحديد مواقف تلك الصحيفة المعادية للحركة الوطنية والموالية للانتداب والصهيونية ، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

أولاً : عندما عقد المؤتمر الفلسطيني الثالث في ديسمبر ١٩٢٠ وقدمت فئة من الفلسطينيين مضابط للحكومة بأن المؤتمر لايمثل الأمة اهتمت الصحيفة بإبراز هذا الأمر ، وكانت عاملاً من عوامل التشكيك في تمثيل المؤتمر للأمة . وعندما انتخب الوفد الفلسطيني الأول الذي سافر إلى لندن في يونيه ١٩٢١ قام صاحب « مرآة الشرق » يعارض الأمة في مسعاها فطاف بالبلاد محاولا جمع مضابط موقع عليها من أهل القرى بأن الوفد لايمثل الأمة لكنه خاب في مسعاه . وعندما تقرر ارسال وفد إلى الحجاز أخذ يدعو الناس الى عدم المساهمة في نفقات الوفد .

ثانياً : دعت الصحيفة الجماهير في بداية انتخابات المجلس التشريعي أواخر عام ١٩٢٢ الى الاشتراك في تلك الانتخابات رغم مقاطعة العرب في فلسطين لها ، وعندما ادركت الصحيفة تصميم الجماهير على المقاطعة عادت فقالت انها تؤيد الأمة .

ثالثاً : كانت صحيفة « مرآة الشرق » هي الصحيفة الوحيدة التي خالفت اجماع الأمة بمقاطعة المجلس الاستشاري الذي عرضته الحكومة على عرب فلسطين عام ١٩٢٣ بعد فشل انتخابات المجلس التشريعي[٥٢] .

رابعاً : كانت الصحيفة ذات نظرة اقليمية ضيقة ، فقد انتقدت ادارة المعارف أواخر عام ١٩٢٢ لاعتمادها على عدد من المدرسين السوريين والعراقيين والمصريين واعتبرتهم غرباء عن أهل البلاد[٥٣] .

خامساً : كان صاحب هذه الصحيفة أول من قال « اتركونا من الصهيونية فنحن لانقدر عليها » وأول من نشر مقالات تدعو الى فصل فلسطين عن سوريا[٥٤] .

سادساً : دعت الصحيفة صراحة الى ضرورة رضوخ العرب للأمر الواقع وقبول مزيد من المهاجرين اليهود والعيش واياهم كاخوة تحت الحماية الانجليزية وانتدابها . مما دعا الصحف اليهودية الى الترحيب بهذه الدعوة الحكيمة « التي تقيل الوطن من عثرته وتمهد لظهور حضارة سامية جديدة »[٥٥] .

ونتيجة لمواقف تلك الصحيفة فقد أخذت قيادة الحركة الوطنية في فلسطين موقفا واضحاً ومحدداً منها فقد قررت اللجنة التنفيذية العربية بجلستها في ١٧ نوفمبر ١٩٢٣ « مقاطعة جريدة مرآة الشرق لسان حال الحزب الجديد لخروجها على الأمة ومشايعتها للحكومة في سياستها الصهيونية »[٥٦] .

ولقد أحس بولس شحادة صاحب « مرآة الشرق » بخطأ سياسته ومواقفه في أواخر عام ١٩٢٤ وانتابته يقظة ضمير مؤقتة ، فكتب مقالا بصحيفته يلوم فيها نفسه على صحائفه السود ويستغفر الأمة عن أخطائه « والله ان كان هناك هالة سوداء أمام عيني ، ان كان هناك ما يبكت ضميري ويجعلني أخجل من نفسي ومن التاريخ ، ان كان هناك ما يقض مضجعي ويجعلني أنام على شوك من القتاد هو تلك الصحائف السوداء التي سطرت في مرآة الشرق منذ زمن بعيد في الطعن بفلان والحط من كرامة فلان ـ تلك الصحائف التي ألجأتنا اليها السياسة الغاشمة وبئست تلك السياسة التي لا تجد لها برهانا تؤيد فيه نظرياتها الا الطعن والقدح والذم في الناس ـ فان كنت أذكر الصحافة في هذه المقالة فلست أنسى مرآة الشرق ولا أنسى ما لها من الخطيئات التي كلما ذكرتها أقرع سن الندم وأقول لا حول ولا قوة الا بالله ، فلا تحمل علينا اذن صحف فلسطين ولا تقل قد صدق فيه قول الشاعر أنه يعلم غيره وينسى نفسه فأنا ألوم نفسي اللوم العنيف أولا على كل بادرة بدرت منها في حق أي وطني وان كان ممن لا يرون رأيي في سياستي »[٥٧] .

لكن الصحيفة ما لبثت أن عادت سيرتها الأولى فكتبت تهاجم اللجنة التنفيذية العربية وتثير مسائل ثانوية مثل حسابات اللجنة وطريقة تنفيذها في الوقت الذي كانت اللجنة التنفيذية قد وجهت فيه رسالة الى الاحزاب المعارضة تدعوها الى التفاهم والتضامن[٥٨] .

والخلاصة ان تاريخ « مرآة الشرق » هو تاريخ غير مشرف ليس بالنسبة للحركة الوطنية في فلسطين وحدها بل بالنسبة للقضايا العربية جميعها .

وأما الصحيفة الثالثة غير الوطنية فهي صحيفة « الكرمل » التي أصدرها نجيب نصار في حيفا عام ١٩٠٨ ، وقد ربط صاحبها نفسه بالادارة العسكرية الانجليزية منذ احتلال القوات البريطانية فلسطين فلقد كان نجيب نصار احد الرجال القلائل الذين اسسوا الحزب العربي الموالي لبريطانيا » في نوفمبر ١٩١٨ ***

وكان نجيب نصار يدعو في صحيفته الى حسن الظن ببريطانيا وتدعيم سياستها في فلسطين ، كما كان يحاول خداع القرويين والمزارعين بالتظاهر بالاهتمام بأمورهم الزراعية بهدف تأليف أحزاب زراعية تثير مشاعر الفلاحين ضد ابناء المدن وتخلق منهم جبهة مناوئة للحركة الوطنية في فلسطين .

وعندما أجمع العرب في فلسطين على ضرورة عقد المؤتمر الفلسطيني السابع لتنظيم شئون الحركة الوطنية بعد فتورها خرجت الكرمل على هذا الاجماع فنشرت عدة مقالات تحض على عدم انعقاد المؤتمر وتوغر صدور رجال المعارضة وأنصار الحكومة[٥٩] .

وتمشيا مع أسلوب الخروج على أي اجماع شعبي أو مهني فقد رفض نجيب نصار أي تحتجب صحيفته تضامنا مع الصحافة العربية في فلسطين التي اضربت أواخر عام ١٩٣٣ احتجاجا على فرض الرقابة على الصحف بعد الانتفاضة الشعبية عام ١٩٣٣[٦٠] .

ولقد كانت الصحيفة تهتم بالمسائل الفرعية والهامشية وتحاول أن تحولها الى قضايا رئيسية تشغل بها الجماهير عن الاهتمام بمشاكلهم الأساسية . فعندما نقل موسى العلمي من سكرتيرية المندوب السامي الخاصة الى دائرة العدلية دعت صحيفة الكرمل الى اجتماع اللجنة التنفيذية العربية لدراسة هذا الأمر واتخاذ قرار فيه[٦١] .

لكن الانصاف يدعونا الى أن نقرر ان صحيفة الكرامل على الرغم من معاداتها للحركة الوطنية في فلسطين وتعاونها مع السلطة المنتدبة ورجالها كانت تحمل كثيرا على الصهيونية وتنبه الناس الى أخطارها .

ولاشك أن التنبيه لخطورة الصهيونية أمر هام لكن استمرار بعض الصحف الفلسطينية في التركيز على الخطر الصهيوني وحده حتى بعد ظهور الاستعمار البريطاني في الساحة قد جعل العرب في فلسطين يتصورون لسنوات غير قليلة أن الخطر الصهيوني هو الخطر الاساسي الذي ينبغي مقاومته ، ولعل ذلك

يفسر لنا أن عداء عرب فلسطين كان متجهاً بالدرجة الأولى خلال العشرينيات إلى مقاومة الخطر الصهيوني وحده ، ثم تنبهوا خلال السنوات الأولى من الثلاثينيات ونتيجة لازدياد خبرتهم في التعامل مع الاستعمار البريطاني الى ان الصهيونية ليست سوى خطر ثانوي وأن الاستعمار هو الخطر الاساسي الذي ينبغي على العرب مقاومته . ويعتقد ان عددا من الصحف الفلسطينية أهمها « الكرمل » تتحمل مسئولية أساسية في هذا الشأن فقد ظلت لفترة طويلة تركز على الخطر الصهيوني دون ربطه حتى في مرحلة تالية بالخطر الاستعماري الذي تبنى فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين وظل يرعاها بالمساندة والرعاية والتأييد حتى اينع الزهر وطاب الثمر وتحولت الفكرة الى دولة صهيونية منزرعة في قلب العالم العربي .

الصحف المتقلبة :

ومن ابرز الصحف المتقلبة « فلسطين » التي صدرت عام ١٩١١ ، وكان مبدؤ ها خدمة الأمة الفلسطينية والعمل على استقلال البلاد ، وكانت من أهم الصحف التي قاومت الصهيونية وفضحت أسرارها وحذرت العرب من أخطارها[٦٢] .

ومن يتابع هذه الصحيفة فلابد ان يلاحظ تقلبها بين مساندة الخط الوطني والدفاع عن مصالح البلاد وبين مساندة المعارضة ومهاجمة قيادة الحركة الوطنية .

فبينما نجد من الصحيفة خلال سنوات النصف الأول من العشرينيات مواقف وطنية كاتهامها لبعض اعضاء الجمعيات المعادية للحركة الوطنية مثل الجمعيات الاسلامية الوطنية بالعمل كعملاء للصهيونية ، ونقدها لقبول بعض الشخصيات العربية الاشتراك في عضوية المجلس الاستشاري الذي رفضته الأمة ، وحرصها على التعبير عن رفض الجماهير للحزب الزراعي في

الخليل (الذي تكون في أوائل عام ١٩٢٤) ولم يكن مؤمنا بحق الفلسطينيين في حكم انفسهم[٦٣] . نجد الصحيفة تنقلب في سياستها خلال سنوات النصف الثاني من العشرينيات فبدلا من استمرارها في دعم الحركة الوطنية ومساندتها نجدها تطالب في أواخر ١٩٢٦ بتأليف حزب محايد في فلسطين لملء الفراغ الذي سببه فتور الحركة الوطنية في تلك الفترة[٦٤] .

ولاشك أن تقلب الصحيفة من صحيفة وطنية الى صحيفة مؤيدة لرجال المعارضة الذين ظلت تهاجمهم لفترة طويلة وتتهمهم بمساندة الانتداب أمر يثير التساؤل والحيرة .

وقد تكون صحيفة « فلسطين » قد يئست مما انتاب نشاط الحركة الوطنية من فتور في تلك المرحلة ، وقد تكون الصحيفة قد اختلفت مع قيادة الحركة الوطنية في فهمها أو تفسيرها لبعض القضايا ، لكن السؤال يبقى مطروحاً : هل هذا كاف لتحول صحيفة وطنية الى صحيفة مناوئة للحركة الوطنية ؟

في اعتقادنا أن الادارة المنتدبة قد تمكنت خلال ضعف الحركة الوطنية في فلسطين من استقطاب أصحاب تلك الصحيفة واستخدامهم لتأييد سياستها ثم دفعتهم بعد ذلك الى التعاون مع النشاط الصهيوني في فلسطين الى درجة وجد أصحاب الصحيفة معها أنهم غير قادرين على التراجع فاستمرأوا تلك السياسة المعادية للحركة الوطنية .

وقد بلغ من عداء تلك الصحيفة بعد انقلابها انها كانت تقف من الحركة الوطنية مواقف مماثلة للصحف الصهيونية في فلسطين . فعندما شنت تلك الصحف حملة كبيرة على المجلس الاسلامي الأعلى لانقاذه كثيراً من الأراضي من الوقوع في يد الصهيونية كانت صحيفة « فلسطين » هي الصحيفة العربية الوحيدة في فلسطين التي ناصرت الصحف الصهيونية في تلك الحملة[٦٥] .

وقد استمرت الصحيفة بعد ذلك في سلسلة من المواقف المعادية للحركة الوطنية ، ومن الأمثلة على ذلك مقاومتها لمشروع اعانة المنكوبين السوريين ،

ومعارضتها لعقد المؤتمر الفلسطيني العربي السابع ، وموقفها المريب ضد قضية حائط البراق ، ومعارضتها لمشروع عمارة المسجد الأقصى ، ومقاومتها لمشروع بنك مصر فلسطين ، ومهاجمتها عبد الحميد شومان لمحاولته انشاء بنك وطني في فلسطين[٦٦] .

وليس معنى ذلك أن الصحيفة بعد تقلبها لم تعد تنادي اطلاقاً بما يفيد العرب في فلسطين أو يخدم مصالحهم فهي بين وقت وآخر تدعو الى مشروع نافع أو تردد فكرة مفيدة مثلما فعلت في أوائل عام ١٩٢٧ عندما دعت الصحيفة الى انشاء بنك وطني في فلسطين أسوة بما هو متبع في مصر والبلاد الراقية[٦٧] . لكن الصحيفة سرعان ما تتخلى عن مشروعها أو تهاجمه أو تنتقده اذا وجدت أعضاء اللجنة التنفيذية العربية أو رجال المجلس الاسلامي الأعلى يتبنون المشروع أو يحاولون تنفيذه .

ولم يكن بالامر الغريب أن تدعو صحيفة فلسطين في أواخر عام ١٩٣٠ الى مؤتمر عربي صهيوني لرجال الصحافة فقد حدث عندما عطلت الحكومة الصحيفة أربعة أيام ان اجتمع صاحب جريدة فلسطين بالصحفي الصهيوني النازي فون دايزل محرر « دوارهايوم » ـ لسان حال اليهود الاصلاحيين الذين كان ينادي زعيمهم جابوتنسكي باجلاء العرب عن أراضيهم بحد السيف ـ وتمخض الاجتماع عن نداء لصاحب فلسطين وجهه الى الصحفيين العرب يدعوهم فيه الى عقد مؤتمر مشترك مع الصحفيين اليهود للوقوف في وجه الحكومة تجاه اضطهادها للصحافة من الطرفين .

لقد رفضت الصحف العربية تلك الدعوة لأن الصهاينة كانوا يحاولون جهدهم عقد اجتماع واحد مع عرب فلسطين حتى يستغلوه دعائيا لتأكيد فكرة امكان تحقيق تفاهم بين العرب واليهود .

وحينما أخفقت الفكرة بسبب تخوف العرب من استغلال الصهاينة للمؤتمر كتب صاحب « فلسطين » مقالا يرد فيه على الصحف العربية ويأمل تحقيق

هذه الفكرة في المستقبل « ولكن هناك سبيل لدرء هذا التخوف بأخذ المواثيق على اليهود بأن لا يستغلوا المؤتمر كعادتهم الماضية . هذا ما نترك الجواب عليه للمستقبل لعل ما هو متعذر اليوم يصبح ممكنا في الغد » .

ولاينحصر نشاط صاحب « فلسطين » مع الصهاينة في اطار العمل الصحفي وحده بل يمتد الى النشاط السياسي أيضاً . فقد عقد اجتماعا مع الزعيم الصهيوني خانكين كتب في اعقابه مقالا في صحيفته عنوانه « حددوا الوطن القومي ثم تعالوا نتفاهم » يدعو فيه اليهود الى التفاهم مع العرب . وقد أخفى صاحب « فلسطين » في البداية أخبار هذا الاجتماع عن الرأي العام ، لكنه اضطر الى الاعتراف بالواقعة بعد ان ذاع خبرها بين الناس[٦٨] .

ولعل ذلك يوضح لنا أن محاولات التفاهم بين شخصيات عربية ويهودية ليست أمراً جديداً لكنها تعود بجذورها الى سنوات مبكرة وهو ما يستحق دراسة خاصة لمحاولة فهم أسبابها وتحديد ابعادها وأهدافها ومواقف المنظمات العربية والصهيونية منها .

* * *

يبقى بعد ذلك أن نشير الى نقطة هامة متعلقة بعلاقة تلك الصحف بالاحزاب التي كانت قائمة في فلسطين خلال سنوات العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن .

لقد كان هناك علاقة وثيقة تربط تلك الصحف بالاحزاب القائمة لكن الحقيقة ان تلك الصحف كانت تعبر عن اتجاهات معينة سواء تبلورت تلك الاتجاهات في شكل أحزاب أو لم تتبلور .

فصحيفة « مرآة الشرق » كانت تمثل ذلك الاتجاه الذي يهدف الى الخروج على الاتجاه الوطني في البلاد والتعبير عن تلك السياسة التى ترمي الى التعاون مع الحكومة والذي عبر عنه فيما بعد « الحزب الوطني » أول الأحزاب السياسية

التي تشكلت في فلسطين خلال العشرينيات (أواخر ١٩٢٣) وقد اختفى هذا الحزب بعد سنوات من ظهوره لكن بقيت الصحيفة تعبر عن ذلك الاتجاه الذي عبرت عنه احزاب اخرى فيما بعد .

وصحيفة « لسان العرب » كانت تؤيد فكرة الانتداب وتقاوم قيادة الحركة الوطنية وتدعو إلى الاقليمية ، وقد ظهرت بعد صدورها أحزاب عدة عبرت عن هذا الاتجاه مثل الاحزاب الزراعية التي وجدت الدعم والتأييد من الصحيفة ، لكن الصحيفة بقيت على اتجاهها رغم اختفاء بعض تلك التشكيلات السياسية التي تعبر عن نفس هذه السياسة .

وصحيفة « الجامعة العربية » كانت تعبر منذ صدورها عن الاتجاه الوطني في فلسطين رغم عدم وجود احزاب سياسية تعبر عن ذلك الاتجاه في العشرينيات . فغالبية الصحف العربية التي ظهرت في فلسطين خلال تلك المرحلة عبرت بالدرجة الأولى عن اتجاهات قائمة . ولعل من الممكن ان نقول ان انشاء الاحزاب كان تعبيراً عن اتجاهات قائمة سبق ان تبنتها صحف سياسية مختلفة .

وأما بالنسبة لتوزيع تلك الصحف فقد أشار تقرير اللجنة الملكية البريطانية التي ذهبت إلى فلسطين للتحقيق في أسباب ثورة ١٩٣٦ إلى أن هناك مجموعة نشطة من الصحف العربية منها أربع صحف يومية وأن صحيفة « اللواء » كانت تطبع حوالي ثلاثة ألاف أو أربعة آلاف نسخة كما ان صحيفتي « فلسطين » و « الدفاع » كانت كل منها تطبع عددا يتراوح بين أربعة آلاف وستة آلاف نسخة بينما كانت صحيفة « الجامعة الاسلامية » تطبع حوالي ألفي نسخة يومياً[٦٩] . ولعل ذلك يعطينا فكرة عن اقبال العرب في فلسطين ـ الذين لم يكن عددهم يتجاوز المليون نسمة في ذلك الوقت ـ على متابعة الصحف في ذلك الوقت والاهتمام بقضيتهم الوطنية رغم عدم انتشار التعليم في البلاد وضعف وسائل المواصلات ووجود مناطق نائية لا تصل إليها الصحف بشكل منتظم .

تلك نظرة عامة على نشأة الصحافة العربية في فلسطين ومتابعة اتجاهاتها حتى ١٩٣٦ وهو العام الذي شهد قيام ثورة عربية كبرى في فلسطين هي ثورة ١٩٣٦/١٩٣٩ ، ثم محاولة لتقييم مواقف الصحافة من القضية الوطنية ومن القوى السياسية في فلسطين .

ولعل من المفيد ان نجمل في ختام هذه الدراسة عددا من النقاط الرئيسية :

أولاً : ان نشأة الصحافة في فلسطين كان نشأة اجنبية نظرا لوجود جاليات وجمعيات أجنبية عديدة في بلاد الشام .

ثانياً : ان نشأة الصحافة العربية الأهلية كان مرتبطاً بالدرجة الأولى باعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ واطلاق حرية اصدار الصحف حيث توالي خلال الأعوام التالية اصدار عدد من الصحف .

ثالثاً : ان الصحافة العربية في فلسطين قد استفادت من خبرة الصحافة العربية في البلدان المجاورة حيث اسهم عدد من الصحفيين في تلك البلدان في انشاء وتحرير تلك الصحف . فإبراهيم زكا منشىء « صحيفة النفير العثماني » نقل اصدار الصحيفة من الاسكندرية إلى القدس ، وابراهيم سليم النجار صاحب صحيفة « لسان العرب » لبناني الأصل .

رابعاً : ان الصحافة العربية في فلسطين نمت وتطورت في ظروف نضال وطني معاد للصهيونية والاستعمار الاجنبي وفي ظل انظمة وقوانين مقيدة لنشاطها وحرياتها وفي اطار اوضاع اجتماعية واقتصادية متخلفة .

خامساً : ان بعض الصحف العربية أسهمت دون ادراك في توجيه العرب في فلسطين نحو اعتبار الصهيونية هي أصل الداء نتيجة تركيزها على مهاجمة الصهيونية دون تنبه منها لحقيقة تلك العلاقة العضوية

التي تربط بين الاستعمار والصهيونية ، ولقد تم تصحيح المسار الوطني في مرحلة تالية ، لكن الصهاينة كانوا قد تمكنوا خلال السنوات الأولى من اقامة كيانهم ومؤسساتهم بتوجيه وتخطيط ودعم من الادارة المنتدبة في فلسطين .

سادساً : ان الصحافة الوطنية قد حاولت أن تؤدي دورها وكان لها اثرها ولاشك في زيادة وعي المواطنين ومساندة الحركة الوطنية في البلاد ومقاومة الاستعمار والصهيونية .

(★) لم اتبين من المصادر المختلفة تاريخ انشاء أول مدرسة ابتدائية حكومية في فلسطين ، اما بالنسبة للمدارس الاعدادية والثانوية الحكومية فقد انشىء المكتب السلطاني في القدس عام ١٨٨٩ كمكتب اعدادي ثم تحول إلى مكتب ثانوي عام ١٩١٣ حيث كان هو المدرسة الثانوية الوحيدة في البلاد في ذلك التاريخ . وكان الى جانبه مدرستان اعداديتان احداهما في مدينة عكا انشئت عام ١٨٩٥ والأخرى في مدينة نابلس انشئت عام ١٨٩٧ . وأما نشأة المدارس الخاصة في فلسطين ـ سواء كانت أجنبية أو طائفية ـ فقد انشئت في بعض مدن فلسطين اعتباراً من عام ١٨٥١ . وأما بالنسبة للطباعة فقد انشىء في مدينة القدس خلال القرن التاسع عشر عدد من المطابع كان من أقدمها مطبعة الآباء الفرنسكان التي انشئت عام ١٨٤٧ بينما يرجع تاريخ أقدم مطبعة وطنية الى عام ١٩٠٨ في حيفا بعد اعلان الدستور العثماني .

(كامل السوافيري : الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة ١٨٦٠ ـ ١٩٦٠) ص ٢١ ٢٨ ، ٣٢) .

١ ـ يوسف خورى : الصحافة العربية في فلسطين ، ص ٣ .
٢ ـ أديب مروة : الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، فيليب دي طرازي : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الثالث ، ٦٦ ، ٦٧ .
٣ ـ عبد الرحمن عبد الوهاب ياغي : حياة الادب الفلسطيني الحديث حتى النكبة ص ٦٤ .
٤ ـ يوسف خوري : المصدر نفسه ص ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ .

٥ ـ اديب مروة : المصدر نفسه ، ص ٢١٩

٦ ـ عيسى السفري : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، ٣٦ ، يوسف خوري : المصدر نفسه ، ص ٢٩ .

٧ ـ اللجنة المركزية للمؤتمر الثالث : تقرير في حالة فلسطين ، ص ٢٩ .

٨ ـ كامل السوافيري : الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، يوسف خوري : المصدر نفسه ص ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤١ .

٩ ـ الجزيرة : العدد ٣٨ ـ ١٢ حزيران ١٩٢٤ ، ص ١

وطبقا لما ذكرته الصحيفة فقد حضر هذا المؤتمر من أصحاب الصحف في فلسطين كل من : نجيب نصار صاحب صحيفة « الكرمل » في حيفا ، وعيسى العيسى صاحب صحيفة « فلسطين » في يافا ، وبولس شحاده صاحب صحيفة « مرآة الشرق » في القدس ، وايليا زكا صاحب صحيفة « النفير » وحسن فهمي الدجاني أحد صاحبي صحيفة « الجزيرة » في يافا ، وعيسى بندك صاحب صحيفة « صوت الشعب » في بيت لحم ، وجميل البحري صاحب مجلة « الزهرة » في حيفا ، وخليل نصر صاحب صحيفة « الاردن » في حيفا ، وخليل المجدلي صاحب صحيفة « الزمر » في عكا .

١٠ ـ الجزيرة : العدد ٣٩ ـ ١٥ حزيران ١٩٢٤ ص ١ . مقال لحسن فهمي الدجاني .

١١ ـ الجزيرة : العدد ٤٠ ـ ١٩ حزيران ١٩٢٤ ، ص ١ مقال لحسن فهمي الدجاني .

١٢ ـ الجزيرة : العدد ٣٨ ـ ١٢ حزيران ١٩٢٤ ص ١ مقال لحسن فهمي الدجاني .

١٣ ـ فلسطين : العدد ٦٨٩ ـ ٣١ ـ ٢٤ حزيران ١٩٢٤ ص ٢ خطاب من عبد العزيز الثعالبي الى الصحيفة .

١٤ ـ فلسطين : العدد ٧٦٦ ـ ٩ ـ ٣ نيسان ١٩٢٥ ، ص ٢

(★★) حضر مؤتمر يافا ممثلون عن الصحف الآتية : الكرمل ، فلسطين ، مرآة الشرق ، صوت الشعب ، اليرموك ، الجامعة العربية ، الصراط المستقيم ، صوت الحق ، الزهور .

١٥ ـ السياسة الأسبوعية : العدد ٨٩ ـ ١٩ نوفمبر ١٩٢٧ ص ١٨ .

(★★★) لمزيد من التفصيلات عن انتفاضة البراق في فلسطين يمكن الرجوع الى الفصل الرابع من كتابنا « الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ الى ١٩٣٦ » .

١٦ ـ حكومة فلسطين : تقرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التي وقعت في شهر آب سنة ١٩٢٩ ، ص ٥٦ ، ٦٥ ، ١١٧ ، ١١٨ .

١٧ ـ الشورى : العدد ٢٤٣ ـ ١٨ سبتمبر ١٩٢٩ ص ١٤ .

١٨ ـ حكومة فلسطين : المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .

١٩ ـ عيسى السفري : المصدر نفسه ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

٢٠ ـ الشورى : العدد ٢٨٩ ـ ٣ سبتمبر ١٩٣٠ ص ٤

٢١ ـ يوسف خوري : المصدر نفسه ص ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٨٩

22. Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the league of Nations on the Administration of Palestine and Trans - Jordan for the year 1933, pp. 16, 17.

23. Esco Foundation: Palestine A study of Jewsih, Arab and British Policies. Vol. II. p 770.

٢٤ ـ عيسى السفري : المصدر نفسه ص ٢٢٣

25 —F.O.371/20018. P.A.S. NO. 18/35,19/35.

٢٦ ـ عيسى السفري : المصدر نفسه ، ص ٣٦ .

٢٧ ـ الجزيرة : العدد ٢٨ ـ ٤ آيار ١٩٢٤ ص ١ ، ١٠ نيسان ١٩٢٤ ص ١ ، ٢٢ آيار ١٩٢٤ ص ١ ، ١٩ حزيران ١٩٢٤ ص ١ مقال لصليبا عريضة .

٢٨ ـ الاتحاد العربي : ٩ آيار ١٩٢٥ ص ٣ .

٢٩ ـ اليرموك : ٣٠ نيسان ١٩٢٥ ص ٣

٣٠ ـ صوت الشعب : العدد :٨٣ ـ ١٠ شباط ١٩٣٤ ص ١

٣١ ـ الجامعة الاسلامية : العدد ٣٧٠ ـ ٢٨ ايلول ١٩٣٣ ص ٧ ، العدد ٤٢٨ ـ ٨ كانون الأول ١٩٣٣ ص ٥ ، العدد ٤٠٠ ـ ٦ تشرين الثاني ١٩٣٣ ص ١ ، ٣ كانون الثاني ١٩٣٤ ص ٤

٣٢ ـ عيسى السفري : المصدر نفسه ، ص ٢٣٤

33 — F.O371/20018.P.A.S.NO. 18/35

٣٤ ـ عيسى السفري : المصدر نفسه ، ص ٢٣٥

٣٥ ـ محمد علي الطاهر : ظلام السجن ، ص ٥١٢ .

٣٦ ـ الشوري : العدد الأول ـ ٢٢ اكتوبر ١٩٢٤ ، ص ١

٣٧ ـ الشورى : ١٤ يونيو ١٩٢٥ ص ٣ ، ٥ يونيو ١٩٢٩ ص ٣ ، ١٢ يونية ١٩٢٩ ص ٤ ، ١٩ يونية ١٩٢٩ ص ٢

٣٨ ـ الشورى : العدد ٩٧ ـ ١٦ سبتمبر ١٩٢٦ ص ٣ ، العدد ٦٣ ـ ٧ يناير ١٩٢٥ ص ٢ .

٣٩ ـ الأنوار : العدد ٦٣٩ ـ ١٠ سبتمبر ١٩٦١ ، ص ١٣

٤٠ ـ الشورى : العدد ٥ ـ ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ ص ٤

٤١ ـ لسان العرب : العدد ٢٨٩ ـ ٢٣ اغسطس ١٩٢٢ ص ١ .

٤٢ ـ لسان العرب : العدد ٣١٥ ـ ٢٢ ايلول ١٩٢٢ ص ١

٤٣ ـ لسان العرب : العدد ٢٩١ ـ ٢٥ اغسطس ١٩٢٢ ص ١

٤٤ ـ لسان العرب : العددان ٢٩٧ ـ ١ ايلول ١٩٢٢ ، ٣٠٧ ـ ١٣ ايلول ١٩٢٢ ص ١

٤٥ ـ لسان العرب : العدد ٢٩٤ ـ ٢٩ أغسطس ١٩٢٢ ، ص ٣ .

٤٦ ـ لسان العرب : العدد ٣٠٣ ـ ٨ أيلول ١٩٢٢ ، ص ١

٤٧ ـ لسان العرب : العدد ٣٠٦ ـ ١٢ أيلول ١٩٢٢ ، ص ١

٤٨ ـ لسان العرب : العدد ٢٩٤ ـ ٢٩ أغسطس ١٩٢٢ ، ص ٣ .

٤٩ ـ فلسطين : العدد ٧٦٤ ـ ٧ ـ ٢٤ آذار ١٩٢٥ ، ص ٢ .

٥٠ ـ الشورى : العدد ٨ ـ ١٠ ديسمبر ١٩٢٤ ، ص ٣ .

٥١ ـ لسان العرب : العدد ٣٠٥ ـ ١١ ايلول ١٩٢٢ ، ص ٢ ،

الشورى : العدد ٣٣ ـ ٤ يونيو ١٩٢٥ ، ص ١ ، العدد ٥ ـ ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ ، ص ٣ ،

فلسطين : العدد ٦١٧ ـ ٥٩ ـ ٢ تشرين الأول ١٩٢٣ ، ص ١ .

٥٢ ـ مرآة الشرق : العدد ٦٩ ـ ١٢ كانون الثاني ١٩٢١ ص ٢ ،

فلسطين : العدد ٦١٧ ـ ٥٩ ـ ٢ تشرين الأول ١٩٢٣ ص ١ مقال لجمال الحسيني سكرتير اللجنة التنفيذية العربية .

٥٣ ـ لسان العرب : العدد ٣٤٦ ـ ٢٨ تشرين الأول ١٩٢٢ ، ص ١

٥٤ ـ الشورى : العدد ٤٩ ـ ١ اكتوبر ١٩٢٥ ، ص ٣ .

٥٥ ـ الشمس : ١٤ ديسمبر ١٩٣٤ ، ص ١

٥٦ ـ فلسطين : العدد ٦٣٣ ـ ٧٥ ـ ٢٧ تشرين ثاني ١٩٢٣ ص ٣

٥٧ ـ مرآة الشرق : ٢٦ نوفمبر ١٩٢٤ .

٥٨ ـ اليرموك : العدد ٣٤ ـ ٤ كانون ثاني ١٩٢٥ ، ص ١

(★★★★) لمزيد من المعلومات عن هذا الحزب يمكن الرجوع الى كتابنا « الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ الى ١٩٣٦ » الفصل الأول من ص ٣٥ ـ ٣٨ .

٥٩ ـ الشورى : العدد ١٧٣ ـ ١٩ مارس ١٩٢٨ ص ٣

٦٠ ـ الجامعة الاسلامية : العدد ٤٠٠ ـ ٦ نوفمبر ١٩٣٣ ، ص ٥ .

٦١ ـ الكرمل : العدد ١٨٢٨ ـ ١٦ كانون أول ١٩٣٣ ، ص ٣ .

٦٢ ـ عيسى السفري : المصدر نفسه ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

٦٣ ـ فلسطين : العدد ٥٣٥ ـ ٧٦ ـ ١ كانون الأول ١٩٢٢ ، ص ٢ ،
العدد ٥٩٧ ـ ٣٩ ـ ٢٠ تموز ١٩٢٣ ، ص ١ ،
العدد ٧٠٥ ـ ٤٧ ـ ٢٢ آب ١٩٢٤ ، ص ٢ .

٦٤ ـ فلسطين : العدد ٩٣٨ ـ ٨٤ ـ ٣١ كانون الأول ١٩٢٦ ، ص ١ .

٦٥ ـ الشورى : العدد ٢٣١ ـ ٢٦ يونية ١٩٢٩ ، ص ٣ .

٦٦ ـ الشورى : العدد ٢٣٦ ـ ٣١ يوليو ١٩٢٩ ، ص ٣ . مقال لجمال الحسيني سكرتير اللجنة التنفيذية العربية .

٦٧ ـ فلسطين : العدد ٩٥٩ ـ ٧ ـ ٢٢ آذار ١٩٢٧ ، ص ٥ .

٦٨ ـ الشورى : العدد ٣٠٤ ـ ١٧ ديسمبر ١٩٣٠ ، ص ٢ .

٦٩ ـ وزارة المستعمرات : تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

قائمـــــة المصـــــادر والمـراجع

أولاً : الوثائق :

ـ حكومة فلسطين : تقرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التي وقعت في شهر آب سنة ١٩٢٩ . القدس ، ١٩٣٠ ، ترجمة رسمية .

ـ اللجنة المركزية للمؤتمر الثالث : تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، الكتاب الأبيض ٥٤٧٩ ، القدس ، ١٩٣٧ .

— F.O.371/20018.P.A.S.NO. 18/35, 19/35.

— Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and northern Ireland to the Council of the league of nations on the administration of Palestine and trans — gordan for the year 1933. London,1934.

ثانياً : رسائل علمية :

ـ عبد الرحمن عبد الوهاب ياغي : حياة الأدب الفلسطيني الحديث حتى النكبة ، رسالة دكتوراه أجيزت بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

ثالثاً : الكتب العربية :

ـ أديب مروة : الصحافة العربية نشأتها وتطورها .

ـ عيسى السفري : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية . الكتابان الأول والثاني ، يافا ، ١٩٣٧ .

ـ فيليب دي طرازي : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الثالث ، بيروت .

ـ كامل السوافيري : الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، الطبعة الأولى .

ـ كامل السوافيري : الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة ١٨٦٠ إلى ١٩٦٠ ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

ـ محمد علي الطاهر : ظلال السجن .

ـ يوسف خوري : الصحافة العربية في فلسطين ١٨٧٦ ـ ١٩٤٨ بيروت ١٩٧٦ ، الطبعة الأولى .

رابعاً : الدوريات العربية :

- الأنوار : بيروت ، يومية .
- الجامعة الاسلامية . يافا ، يومية .
- الجزيرة : يافا ، يومية .
- السياسة الأسبوعية . القاهرة ، اسبوعية
- الشمس . القاهرة
- الشورى . القاهرة ، اسبوعية
- صوت الشعب . بيت لحم . أسبوعية
- فلسطين . يافا ، أسبوعية .
- الكرمل . حيفا ، يومية .
- لسان العرب . القدس ، يومية .
- مرآة الشرق . القدس ، نصف أسبوعية
- اليرموك . حيفا ، يومية .

خامساً الكتب الأجنبية :

— Esco foundation of Palestine: Palestine A study of Jewish, Arab and British policies. vol. 11 U.S.A., Yale University press, 1949, 2nd ed.